لست من الاطلاع اللغوي للدرجة التي تؤهلني لشرح الشعر، إلا أن هذه مجرد محاولة أولية لتذوق قصيدة ابن زيدون (لئن قصر اليأس منك الأمل)

الشرح:-

١ـ لَئِن قَصَّرَ اليَأسُ مِنكِ الأَمَل

وَحالَ تَجَنّيكِ دونَ الحِيَل

يعاتب ابن زيدون هنا ولادة بن المستكفي (حبيبته) فيقول ابتداءً: حتى لو أن اليأس من أفعالك قصَّر الأمل دون وصلك، وجنايتك منعته ولو أتيتك بالحيَل.

٢ـ وَناجاكِ بِالإِفكِ فِيّ الحَسودُ

فَأَعطَيتِهِ جَهرَةً ما سَأَل

وذهب إليك حاسدي فأسرَّ لكِ عني بالكذب، وأنتِ صدَّقته جهراً وهو مطلوبه من حسده إياي

٣ـ وَراقَكِ سِحرُ العِدا المُفتَرى

وَغَرَّكِ زورُهُمُ المُفتَعَل

وَأَقبَلتِهِم فِيَّ وَجهَ القَبولِ

وَقابَلَهُم بِشرُكِ المُقتَبَل

وأعجبك ما تقوَّلوه عليَّ من الإفك، حتى لكأنه كالسحر في خداعه،

واغتررتي بما ألَّفوه من الزور!

وقبلتي منهم ذمي وأقبلتي عليهم طليقة الوجه مستبشرةً مرحِّبة!

٤- فَإِنَّ ذِمامَ الهَوى لَم أَزَل

أُبَقّيهِ حِفظاً كَما لَم أَزَل

فما زلت مع كل ذلك أحفظ عهد المحبة بيننا، وأبقِّيه (دليلٌ على مشقة

الإبقاء بسبب أفعالها) كما كنت دائماً

٥- فَدَيتُكِ إِن تَعجَلي بِالجَفا

فَقَد يَهَبُ الريثَ بَعضُ العَجَل

كنت الفداء لك، لو أنك تستعجلين جفائي وقطيعتي فربما أمكنك تقديم

التريُّث والتمهل على العجلة

٦ـ عَلامَ اِطّبَتكِ دَواعي القِلى

وَفيمَ ثَنَتكِ نَواهي العَذَل

على أي شيءٍ أعجبك البغض وفي أي شيءٍ منعك اللوم وثناكِ عن محبتنا التي كنا على عهدها؟

٧ـ أَلَم أَلزَمِ الصَبرَ كَيما أَخِفَّ

أَلَم أُكثِرِ الهَجرَ كَي لا أُمَلّ

أولم أكن صبوراً على وصالك ولقائك مع منازعة نفسي إليكِ كل حين؟ أولم يكن ذلك كي لا أتغير عندك ويذهب وقاري وتملي مني؟

٨ـ أَلَم أَرضَ مِنكِ بِغَيرِ الرِضى

وَأُبدي السُرورَ بِما لَم أَنَل

أولم أظهر الرضا بالقليل منكِ وإن كان لا يرضيني؟

وأظهر السرور حتى بما لم يصلني منه شيء لاستبقائك؟

٩ـ أَلَم أَغتَفِر موبِقاتِ الذُنوبِ

عَمداً أَتَيتِ بِها أَم زَلَل

أولم أغفر لك ذنوبك في حقي وأعفو عن كبيرها عمداً كانت أو غير عمد؟

١٠ـ وَما ساءَ ظَنِّيَ في أَن يُسيءَ

بِيَ الفِعلَ حُسنُكِ حَتّى فَعَل

ولم يكن ظني من السوء بمكانٍ ليخطر لي أن حسنك وجمالكِ فاعلٌ بي ما هو فاعل، حتى وجدته حاصلاً!

١١ـ عَلى حينَ أَصبَحتِ حَسبَ الضَميرِ

وَلَم تَبغِ مِنكِ الأَماني بَدَل

وكان حسن ظني ذلك حين أصبحتِ عندي بقدر ضميري وفكري، لا تفارقين نفسي، وأمانيَّ أبت أن تختار غيرك، فكنتِ الشاغل والأمنية

١٢ـ وَصانَكِ مِنّي وَفِيٌّ أَبِيٌّ

لِعِلقِ العَلاقَةِ أَن يُبتَذَل

والذي جعلك عندي في مقامٍ مصون وفائي وإبائي، لما في تعلُّقنا ومحبتنا من القدر والنفاسة فباعدت بينه وبين الابتذال

١٣ـ سَعَيتِ لِتَكديرِ عَهدٍ صَفا

وَحاوَلتِ نَقصَ وِدادٍ كَمَل

ولم يكن الكدر الطارئ علينا ونقص الود بعد اكتماله بغير إرادتنا، بل بسعيك ومحاولتك عامدة

١٤ـ فَما عوفِيَت مِقَتي مِن أَذىً

وَلا أُعفِيَت ثِقَتي مِن خَجَل

فلم تسلم محبتي من الأذى ولا ثقتي من الخذلان المُخجل

١٥ـ وَمَهما هَزَزتُ إِلَيكِ العِتابَ

ظاهَرتِ بَينَ ضُروبِ العِلَل

كَأَنَّكِ ناظَرتِ أَهلَ الكَلامِ

وَأوتيتِ فَهماً بِعلمِ الجَدَل

وعلى كثرة معاتبتي إياكِ وترددي عليكِ بهِ تهرَّبتي بالتعلل والحجج، وكأنك بلغتِ من الجدل درجة مناظرة علماء الكلام، وأصبحَ لك من ذلك العلم قسطاً وفهماً

١٦ـ وَلَو شِئتِ راجَعتِ حُرَّ الفَعالِ

وَعُدتِ لِتِلكَ السَجايا الأُوَل

ولو تريدين الرجوع إلى سابق عهدك من انتقاؤ محاسن الأفعال والوصل الجميل لفعلتِ وما شق عليكِ ذلك

١٧ـ فَلَم يَكُ حَظّيَ مِنكِ الأَخَسَّ

وَلا عُدَّ سَهمِيَ فيكِ الأَقَلّ

ويسهل رجوعك إلى ما كنتِ عليه أني لم أكن عندك بالأدنى مكانةٍ ولا الأقل حظاً!

١٨ـ وَما بِاِختِيارٍ تَسَلَّيتُ عَنكِ

وَلَكِنَّني مُكرَهٌ لا بَطَل

ولم يلهيني عنك اختياري ورغبتي، إنما أُكرهت على ذلك فلا تحسبيه مني قصداً وسعياً

١٩ـ وَلَم يَدرِ قَلبِيَ كَيفَ النُزوعُ

إلى أَن رَأى سيرَةً فَامتَثَل

ولم يكن لقلبي سابق رغبةٍ في أحدٍ إلا أني مشيت الخطا التي ظهرت لي حتى وجدتني هنا نازعاً إليك راغباً في وصلك!

٢٠ـ وَلَيتَ الَّذي قادَ عَفواً إِلَيكِ

أَبِيَّ الهَوى في عَنانِ الغَزَل

وليت هذا القلب الذي دفعني إليكِ على غير إرادةٍ أبيّاً مترفعاً في المحبة فلا ينزلني تلك المنزلة

٢١ـ يُحيلُ عُذوبَةَ ذاكَ اللَمى

وَيَشفي مِنَ السُقمِ تِلكَ المُقَل

فإن كان مترفعاً أبياً غيَّر أثر لُماكِ (سواد ما تحت شفتيكِ، وهو من علامات الجمال) ولم يكن عندي عذباً ولا تعلقت به

ولكان شفا مقلتاي (عيناي) مما أصابهما من الإعياء والذبول، ولكن ليت!

٢٢ـ عَلَيكِ السَلامُ سَلامُ الوَداعِ

وَداعِ هَوىً ماتَ قَبلَ الأَجَل

فهاك سلامي عليك، وهو سلام الوداع وكَلِم الفراق

والمحبة التي انقضت قبل أجلها وانقطعت دون تمامها

انتهى....